

إحياء علوم الدين

إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما .

وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روي أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم .

وقال الشافعي C تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر فإنك إذا تفكرت في واحد من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي B من لم يضمن نفسه لم ينفعه علمه وقال C من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال ما من أحد إلا له محب ومبغض فإذا كان كذلك فكُنْ مع أهل طاعة الله D وروي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي B عن مسائل في الورع والشافعي C يقبل عليه لورعه وقال للشافعي يوماً أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي C التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن ألا ترى أن الله D امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتنح موسى عليه السلام ثم مكنه وامتنح أيوب عليه السلام ثم مكنه وأتاه ملكاً والتمكين أفضل الدرجات قال الله D وكذلك مكنا ليوسف في الأرض وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي C يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة .

وقيل للشافعي C متى يكون الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاتته فعند ذلك يكون عالماً فإنه قيل لجالينوس إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة الم جمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة .

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي B ما ناظرت أحداً قط فأحبت أن يخطئه .

وقال ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور C ما رأيت ولا رأى الرءءون مثل الشافعي C تعالى .

وقال أحمد بن حنبل B ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي C تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يا بني كان الشافعي C تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد C يقول ما مس أحد بيده محبرة إلا وللشافعي C في عنقه منة .

وقال يحيى بن سعيد القطان